الشبهة الثالثة

هى دعوى وجود تناقض -بالقرآن الكريم- فى موضوع الشفاعة.. وذلك انطلاقًا من أن آية الزمر: ٤٤ تجعل الشفاعة جميعها لله -سبحانه وتعالى- ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [الزمر: ٤٤].. وكذلك آية السجدة: ٤ -﴿ **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [السجدة: ٤]-..

بينما آية يونس: ٣- تتحدث عن وجود شفاعة بإذن الله ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [يونس: ٣].

فآيتان تنفيان الشفاعة، وتجعلانها لله جميعا.. وآية تقر بوجود شفاعة بإذن لله..

●●●

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن الذين يقرأون القرآن بغير المنهاج القرآنى لهذه القراءة، إنما يوقعون أنفسهم فى كثير من الأوهام. ولو أنهم قرأوا القرآن بالمنهاج العلمى

المناسب لقـراءته لما عرضت لهـم أى من هذه الأوهام التى تتحـدث عن وقوع تناقضات بين آيات هذا الذكر الحكيم.

إن من يقرأ القرآن باحـثًا عن أى قضية من القضـايا التى عرض لها، لابد له أن يجـمع كل الآيات التى وردت فى هذه القضـية، ثم يفـسرها جميعها فى سياقات ورودها بسور القرآن الكريم.

وعلى سبيل المثال:

فمن يبحث عـن فلسفة القرآن فى الأموال والثـروات، عليه أن ينظر إلى الآيات التى أضافت مـصطلح «المال» إلى ضمير الجـمع -وهى سبع وأربعون آية- وإلى الآيات التى أضـافته إلى ضـمير الفـرد -وهى سبع آيات-.. وإلى الآيات التى أضافـته إلى الذات الإلهيـة.. وذلك ليدرك فلسفـة القرآن فى أن المال هو مال الله، اسـتخلف فيـه الإنسان -مطلق الإنسان ومجموع الإنسان -﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]- فالأصل فـيه هو ملكية الأمة -المجـموع- دون حرمان للفـرد من ملكية المنفعة والحـيازة والاستثمـار والاستمتاع، وفق الشـريعة -التى هى بنود عقد وعهد الاستخلاف-..

ولو أن قارئًا وقف عند آية تضـيف المال لضميـر الفرد ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] ثم عند آية تضيـفه إلى المجموع ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].. وتوهم وجود تناقض فى

موقف القـرآن من هذه القضية، لكان مـثله كمثل الذين توهمـوا وجود تناقض فى موضوع الشفاعة بين آيات القرآن الكريم.

إن آية الزمـر: ٤٤ -التى تجعل الشـفاعـة جمـيعًا لـله- سبحـانه وتعالى- قد جاءت فى سيـاق الحديث عن المشركين الذين اتخذوا لهم من دون الله شفعـاء، لا يمـلكون شيئًـا ولا يعقلون.. فجـاء القرآن لينفى إمـكانيـة شفـاعة هـؤلاء الشـركـاء الـذيـن لا يـملـكون شـيـئًا ولا يعقلون، وليقول -فى مواجهة هذا الموقف الشركى-: إن الشفاعة لله جميعًا ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

فنفى الشفاعـة عن غير الله خاص بإدعاء الشفاعـة للشركاء الذين جعلهم المشـركون شـفعاء لهم من دون الله.. ولقـد تكرر ذلك فى القرآن الكريم -فى غيـر سورة الزمر- ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٢٣- ٢٤]- ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].. ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

فالشفاعة المنفية هى شفاعـة الشركاء الذين زعمهم وادعاهم المشركون من دون الله..

● أما عندمـا تكون الشفاعـة لمن أذن الله له ورضيه، فـهى حقيـقة قرآنية ثابتة لأهلها ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فالـشفـاعة منفـية عندمـا تكون دعوى شـركيـة للأنداد الذين زعم المشركون أن لهم شفاعة من دون الله.. هنا تكون الشفاعة لله جميعا، دون كل هؤلاء الأنداد والشركاء المزعومين.. أمـا عندما تكون الشفاعة بإذن الله، ولمن رضيه الله، فهى نعمة إلهية ثابتة فى الكثير من سياقات القرآن الكريم -التى سقنا منها الأمثال-..

● ومثل ذلـك نجده عندما نـستخـدم هذا المنهاج العلمـى فى قراءة القرآن وتدبر آياته التى جاءت بإزاء العديـد من القضايا التى يظن الجهلة وجود تناقض فيما بينها.

فعندما يتخذ البعض الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزة، يقول لهم القرآن الكريم إن العزة لله جميعًا ﴿ **الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء: ١٣٩]..

أما عندما يتغير المقام والسياق، فإننا نجد القرآن الكريم يقرر للمؤمنين عزة هي من عزة الله -سبحانه وتعالى- وعزة رسوله -عليه الصلاة والسلام- ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [المنافقون: ٨].

وعندما يتقوى بعض الناس بالأنداد الذين يتخذونهم من دون الله، يقول لهم القرآن الكريم إن القوة لله جميعًا ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أما عندما يتغير المقام والسياق فإن الإسلام يجعل المؤمن القوى أفضل وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. كما أن المؤمن يأخذ كتابه بقوة.. وهو مطالب أن يعد لأعداء الإسلام والمسلمين ما استطاع من قوة.. وأن يأخذ ما آتاه الله بقوة.. ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧١] -﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [الأنفال: ٦٠] -﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ**

قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] -﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

هكذا.. وبهذا المنهاج، يجب أن يُقرأ القرآن الكريم: القراءة التى تجمع الآيات الواردة فى الموضوع الواحد، والتى ترى «التمايزات» بينها فى ضوء السياقات المتمايزة والمقاصد المختلفة التى جاءت فيها ولها هذه الآيات.

وبهذا المنهاج يثبت -يقينا.. وبالاستقراء -أنه لا وجود لشبهة تناقض بين أى من آيات القرآن الكريم.. وصدق الله العظيم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

●●●

الشبهة الرابعة

تدعى وقوع تناقض بين آيات سورة الواقعة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] -وبين آياتها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ [٣٠، ٤٠] بحسبان أن الآيات الأولى تجعل قليلا من أهل الجنة مسلمين.. بينما الثانية تجعل كثيرًا من أهل الجنة مسلمين.

●●●

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن كل أهل الجنة هم مسلمون، سواء أكانوا على شريعة محمد ﷺ أو على شرائع الأنبياء السابقين الذين جاءوا جميعًا بدين الله الواحد -دين الإسلام-.

الأمر الثانى: أن الآيات ١٠- ١٤ -فى سورة الواقعة- إنما تتحدث عن السابقين إلى الإيمان.. وإلى عمل الخيرات ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠- ١٤] فهى لا تتحدث -فقط- عن السابقين إلى عمل الخيرات، وإنما عن الذين جمعوا بين السبق إلى الإيمان وبين السبق إلى عمل الخيرات.. أى تتحدث عن السابقين إلى

عمل الخيرات من الجيل القرآنى الفريد المؤسس لإقامة الدين مع رسول الله ﷺ.. ولهؤلاء مكان متميز فى القربى وجنات النعيم.. وهم ثلة -أى جماعة- من هؤلاء الذين سبقوا فجمعوا هاتين الحسنيين..

أما الآخرون -الذين لحقوا بهم- فإنهم، وإن سبقوا إلى عمل الخيرات، فإنهم لم يحظوا بفضل السبق إلى التأسيس.. وقليل منهم هم الذين يبلغون فى القربى مرتبة الثلة -الجماعة- التى سبقت إلى التأسيس للإيمان وإلى الصالحات من الأعمال جميعًا.

أما آيات الواقعة: ٣٩، ٤٠ -فهى واردة فى سياق آخر، تتحدث عن أصحاب اليمين، الذين يأخذون كتابهم باليمين -أى بالقوة- النابعة من الاطمئنان إلى ما قدمت أيديهم من الطاعات والصالحات.. وهؤلاء لهم نعيم الجنة -الذى تحدث عنه سياق الآيات- ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ**﴾ [الواقعة: ٢٧- ٤٠].

فهذا المتاع فى الجنة قد وعد الله به جماعة -ثلة- من الأولين من أهل اليمين- وجماعة -ثلة منهم من الآخرين.

واختلاف السياق -سياق الحديث عن السابقين السابقين المقربين - الذين جمعوا فضل السبق إلى تأسيس الدين وفضل السبق إلى الأعمال الصالحات.. اختلاف هذا السياق عن سياق الحديث عن أصحاب اليمين، ينفى وجود أى تنافض بين هذه الآيات التى نزلت من لدن حكيم عليم.. فالأولى تتحدث عن السابقين إلى الصالحات من المهاجرين والأنصار.. والثانية تتحدث عن أصحاب اليمين الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحات.

●●●

الشبهة الخامسة

تدعى وجـــود تناقض بين آية ســـورة المائدة: ٦٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . . أى التى تجعل النجـاة شاملة لمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا من أصحاب هذه الشرائع- المؤمنين بالشريعة الخاتمة. . والذين هادوا. . والصابئين. . والنصارى. .

وبين آية آل عـمران: ٨٥ التى تقـصر النـجاة على المتـدينين يدين الإسلام: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

●●●

● **وفى الرد على هذه الشبهة نقول:**

إن دين الله -سبحانه وتعالـى- واحد من لدن أول الأنبياء آدم -عليه السلام- إلى خاتم الأنبياء محمد -عليه الصلاة والسلام-. . وهذا الدين الإلهى الواحد هو دين الإســلام -الطاعة وإسـلام لوجه لله-. . وعلى هذا الدين كان إبراهيـم -أبو الأنبياء- عليـه السلام- ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمـران: ٦٧]-. . وكذلك كان الأنبياء من ذريته ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ

﴿اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]- . . وكذلك كان جميع الأنبياء والمرسلين -مسلمين- حتى خاتمهم المبعوث لإحياء ملة أبى الأنبياء إبراهيم-عليه السلام- ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

فكل الذين آمنوا بالله الواحد. . وآمنوا بالغيب واليوم الآخر والحساب والجزاء. . وعملوا صالحًا- على شرائع موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء والمرسلين، والذين تحدثت آية المائدة : ٦٩- عن نجاتهم، هم جميعًا مسلمون.

أما الذيت تحدثت عنهم آية آل عمران: ٨٥ وقالت إن تدينهم غير مقبول، فهم الذين لم يوحدوا الله -سبحانه وتعالى-. . أو لم يؤمنوا بالغيب والآخرة. . أو لم يعملوا صالحًا فى حياتهم الدنيا. . أى هم الذين اختتاروا التدين بغير دين الإسلام. .

فأصول الإسلام: التوحيد. . والإيمان بالغيب. . والعمل الصالح، شاملة لكل من اتخذ إليها شريعة أى نبى من أنبياء الإسلام -الذين تعددت شرائعهم، فى إطار هذا الدين الإلهى الواحد -دين الإسلام-.

أما الذين استبدلوا شرك الوثنية أو شرك التثليث بالتوحيد والتنزيه. . أو استبدلوا الدهرية- إن هى إلا حياتنا الدنيا- بالإيمان

بالغيب.. أو استبدلوا السيئات بالحسنات.. فإنهم غير مسلمين، ولا نجاة لهم، لأنهم لم يحصِّلوا شروط النجاة، التى هى أصول الإيمان بدين الله الواحد -الإسلام-.

مع مراعاة أن درجة النجاة ليست واحدة عند الذين هادوا وعند النصارى وعند الذين آمنوا بالشريعة الخاتمة- إذ لا يستوى من آمن بموسى وهارون -عليهما السلام- وحدهما بمن أضاف إليهما عيسى -عليه السلام- كما لا يستوى من آمن بهؤلاء بمن آمن بكل الأنبياء والمرسلين، ولم يفرق بين أحد من رسل الله أجمعين.

كما لا يستوى من آمن بكتاب واحد من كتب الله بمن آمن بكل الكتب والصحائف والألواح التى جاء بها وحى السماء.. ولقد كان الناجون من قوم موسى وحوارى عيسى يعرفون بشارة كتبهم بالمرسلين من بعد رسولهم.. ومن ثم كانوا مصدقين بكل الأنبياء والمرسلين..

ويؤكد هذه الحقيقة -حقيقة وحدة دين الله الواحد -الإسلام- حديث رسول الله ﷺ- :«**إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية. من يعمل خيراً فلن يُكفره**» رواه أبو داود...

وبعبارة الإمام محمد عبده [١٢٦٦- ١٣٢٣هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م: فإن الكتابية الحقيقية- أى الذين لهم النجاة - هى «التى تؤمن بالله وتعبده، وتؤمن بالأنبياء، وبالحياة الأخرى، وما فيها من الجزاء، وتدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر.

والفرق الجوهرى العظيم بينها وبين المؤمنين -المسلمين- هو الإيمان بنبوة محمد -ﷺ- ومزاياها في التوحيد والتعبد والتهذيب.. وهو فرق يشبه ما بين الموحدين المخلصين العاملين بالكتاب والسنة وبين المبتدعة الذين انحرفوا عنهما.

والذى يؤمن بالنبوة العامة لا يمنعه من الإيمان بنبوة خاتم النبيين -فى الغالب- إلا الجهل بما جاء به، وكونه قد جاء بمثل ما جاء به النبيون وزيادة اقتضتها حال الزمان فى ترقيه واستعداده لأكثر مما هو فيه»[1].

فالنجاة لأهل الشرائع السابقة هى نجاة للمسلمين منهم، الذين آمنوا بدين الإسلام- دين الله الواحد، وسلكوا إلى تحقيق عقائد ومقاصد هذا الدين الإسلامى الواحد شريعة النبى الذى انتسبوا إلى أمته. وهى الشريعة التى بشرتهم بمن سيأتى بعد نبيهم فكانوا بهم مؤمنين.

ومن ثم فلا وجود لهذا التناقض الذى زعمه وادعاه الذين لم يفقهوا هذه الآيات فى القرآن الكريم.

فالدين عند الله الإسلام.. ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه.. والنجاة مكفولة لمن يسلك إلى هذا الدين الواحد شريعة أى نبى من الأنبياء- الذين هم أولاد عَلاَّت -[أمهات شتى] وأبوهم واحد - الإسلام- أى شرائعهم متعددة، فى إطار الدين الواحد -الإسلام-.

●●●

(١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] ج٤ ص ٦٠٩. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة دار الشروق- القاهرة سنة ١٩٩٣م.

الشبهة السادسة

هى دعوى تناقض القرآن الكريم عندما أمر الرسول -ﷺ- بالصفح: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]. . تناقض هذا الأمر بالصفح مع ما جاء فيه «القرآن» عن جهاد الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن «الصفح» -فى المصطلح القرآنى- هو «ترك التثريب» وهو أبلغ من «العفو» ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

ولقد ورد حديث القرآن الكريم عن هذه المادة وهذا الصفح فى عدة مواضع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]. ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ

عَلَى خَـائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيـلاً مِّنْهُمْ فَـاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْـفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧-٨٩]. ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩].

كما جاء الصفح بمعنى الإعراض فى موضع واحد ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].

والملاحظ أن كل السياقات التى جاءت فيها هذه الآيات لا تتحدث عن المشركين المقاتلين للمسلمين ولا المعتدين عليهم، ولا الذين فتنوا المسلمين فى دينهم وأخرجوهم من ديارهم.. بل إن بعض هذه الآيات إنما تتحدث عن الأزواج والأولاد الذين يصبحون فتنة يجب الحذر منها.. وبعضها يتحدث عن أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله.. وبعضها يتحدث عن المنافقين- أصحاب خائنة الأعين- وأمثالهم من غير المقاتلين المعتدين.. ولذلك فإن الصفح وترك التثريب على هؤلاء هو لون من الخُلُق الإسلامى الجميل. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]

-قد توجد عداوة، لكنها لم تبلغ درجة القتال والعدوان. وليس كذلك سياق الآية التى تتحدث عن الجهاد والإغلاظ على الكفار والمنافقين [التوبة: ٧٣] فهى قد جاءت فى سياق الحديث عن الكفار والمنافقين المحاربين للرسول والمؤمنين، والذين يحلفون ويكذبون، والذين كفروا بعد إسلامهم، والذين هموا بما لم يستطيعوا تحقيقه- من قتل الرسول- ﷺ -غيلة-، والذين عاهدوا الله ثم نقضوا العهد والميثاق، والذين أخلفوا الله ما وعدوه فأعقبهم نفاقًا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه، والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات، ويلمزون الفقراء الذين لا يجدون إلا جهدهم وقوة عملهم، والذين يسخرون من المؤمنين..

فهذا الصنف من الأعداء، الذين تجاوزوا مجرد العداء إلى قتال المؤمنين والعدوان عليهم، مع الاتصاف بكل هذه الصفات المرذولة، واقتراف كل هذه الجرائم- الخلقية والمادية- فى حق الله ورسوله وأمته، هم الذين تتحدث آية التوبة [٧٣] عن جهادهم والغلظة عليهم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا

آتاهُم مِن فَضلِه بَخلُوا به وتَولَّوا وَّهُم مُّعرِضُون (٧٦) فأعقبَهُم نِفاقًا في قُلُوبِهِم إلىٰ يومِ يلقَونَهُ بما أخلَفُوا اللَّه ما وعَدُوهُ وبما كانُوا يكذِبُون (٧٧) ألَم يعلَمُوا أنَّ اللَّه يعلَمُ سرَّهُم ونَجواهُم وأنَّ اللَّه علَّامُ الغُيُوب (٧٨) الَّذين يلمِزُون المُطَّوِّعين من المُؤمنين في الصَّدقات والَّذين لا يجدُون إلاَّ جُهدَهُم فيَسخَرُون منهُم سخرَ اللَّهُ منهُم ولَهُم عذابٌ أليمٌ (٧٩) استَغفِر لَهُم أو لا تَستَغفِر لَهُم إن تستَغفِر لَهُم سبعِين مرَّةً فلَن يغفِرَ اللَّهُ لَهُم ذلِك بأنَّهُم كفَرُوا باللَّه ورَسُوله واللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسقِين﴾ [التوبة: ٧٣ - ٨٠].

ففى هؤلاء المعتدين المقاتلين المنافقين المتصفين بكل هذه الصفات المرذولة جاء الأمر بالجهاد لهم والإغلاظ عليهم.. وذلك دون أن يغلق القرآن الكريم أمامهم باب التوبة ﴿فإن يتوبوا يك خيرا لهم﴾ ..

وهذا مقام وسياق مختلف كل الاختلاف عن المقام والسياق الذى ورد فيه الأمر بالصفح الجميل وترك التثريب..

ومن ثم فإن الحديث عن وجود تناقضات بين هذه الآيات هو جهالة مرجعها فقدان الوعى بمعانى وسياقات آيات القرآن الكريم.

●●●